المؤسسات العلمية العربية
ووضع المصطلح العلمي العربي

صالح بلعيد
- جامعة تيزي وزو

بسم اللّه الرحمن الرحيم

المؤسسات العلمية العربية ، ووضع المصطلح العلمي العربي

نال التعريب قدرا كبيرا من الدراسات والقرارات والملتقيات ، وكانت معظم الدراسات والملتقيات - خاصة الرسمية - تُرجِع عدم تطبيق التعريب إلى قلة الموارد البشرية الوطنية المعربة . ولما تم تعريب التعليم ما قبل الجامعة بنسبة مائة في المائة ، ودخول هذه الأفواج المعربة إلى الجامعة منذ سنوات (رغم اصطدامهم بعدم تعريب الجامعة) وتوفّر الإطارات الوطنية المعربة . راحت بعض الأطراف تضغط على عدم تعريب المواد العلمية - استكمالاً لعملية التعريب المرحلي - تحتج بقلة وضعف وتنوع المصطلح العربي ، وهذا يسبب كارثة كبيرة على الوطن ، وبعض الأطراف تحاول ربح الوقت بتأخير تعريب الجامعة إلى أن يتوفر للعربية المصطلح والمراجع العلمية ، ويتم إقرار المصطلح الموحد الذي تصادق عليه أكاديمية اللغة العربية في الجزائر . وكلا الأمرين أشد نكالاً على العربية .

وما دامت تعلة هؤلاء تنصب على المصطلح العلمي ، سأحاول تفنيد هذه الدعوى بمداخلتي هذه التي تتناول وضع المصطلح العلمي العربي في المؤسسات العلمية العربية .

إن الحديث عن المصطلح عامة أصبح ذا أهمية كبرى في العالم بعد الذي عرفته البشرية من تقدم في العلوم ، وما تعيشه التكنولوجية من نمو واكتساح لجميع مجالات العلم والحياة ، فهو علم العلوم وجواز سفر للمستقبل ، لذا نجد القائمين على قضايا اللغات في تسابق لإيجاد أدوات

التعبير التي هي المصطلحات لمواكبة التقدم العلمي بوضع الأسماء على مسمياتها ، واضعين نصب أعينهم الدقة والايجاز وسهولة اللفظ ، وصحته لسانيا .

إن سر نجاح الدراسات اللغوية الغربية يعود إلى أمرين : أولها التعاون العلمي بين الدول الأوربية ، وهذا التعاون أدى الى وضع المعايير الدولية للمصطلحات لجعلها موحدة - قدر الإمكان - وثانيها البحوث اللغوية الجادة التي عملت على وصف اللغا وتحليلها وإحصائها . واللغة العربية في وقتنا هذا استبعدت من المؤسسات الإنتاجية ، والشركات الصناعية ، حتى تولد عند بعضنا اقناع بعدم صلاحيتها كوسيلة إنتاج ، زكى هذا ، الإهمال التام بالبحث العلمي اللغوي ، أضف الى هذا انقطاع التواصل الثقافي بين الجزائر والبلدان العربية ، وهذا العامل كان السبب الكبير - عندنا - في عجز العربية عن التعريب ، وعن ايجاد المصطلحات العلمية . إن أجدادنا توصلوا إلى استحداث المصطلحات ، وذلك بفضل الجهود اللغوية الفردية والجماعية التي تكاملت حتى كانت لهم معاجم متخصصة في شتى العلوم ، إلى جانب المعاجم العامة ، وبذلك أنجزا مصطلحات تعبر عن واقعهم منطلقين من دوافع بريئة لسد النقص في أسماء الأشياء التي يرونها حولهم . وحديثا فالوضع يختلف ، حيث المستجدات الحضارية تتدفق يوميا ، والتواصل بين اللغات على أشدة فمتى أتيح للغتين من فرص الاحتكاك فلا مناص من تأثر كل منهما بالأخرى ، لكن دائماً المغلوب مولع بلغة الغالب . فما موقع اللغة العربية من هذا الزحم الحضاري ؟ فهل استطاعت أن تعطي لهذه الأشياء مسمياتها ؟ ونقف إلى جانب اللغات الحية ؟ وهل يمكن أن ندخل عالم التواصل الدولي ؟ وهل باستطاعتها أن توجد الأعشاش اللازمة لبقاء حول خمسين مصطلحاً يفد إليها يومياً ؟

هذه إشكالية المصطلح في اللغة العربية ، فلقد قامت مؤسسات علمية تعمل على ايجاد المصطلح ، ومؤسسة واحدة تعمل على تنسيق المصلح فماذا قدمت هذه المؤسسات ؟

للإجابة عن هذا السؤال أقول :

بذلت المؤسسات العلمية العربية مجهودات هامة من أجل وضع المصطلح العلمي العربي تيسيراً على الطالب والباحث في هذا الميدان ، وهكذا عمل مجمع سوريا على :

«1 - تحوير المعنى اللغوي القديم للكلمة العربية ، وتضمينها المعنى العلمي الجديد ،

2 - اشتقاق كلمات جديدة من أصول عربية أو معربة للدلالة على المعنى الجديد ،

3 - ترجمة كلمات أعجمية بمعانيها ،

4 - تعريب كلمات أعجمية وعدها صحيحة»[1] .

وبعد دراسة وضع المصطلحات بالطريقة السالفة الذكر ، تعرض على مؤتمر مجمع القاهرة ليدقق النظر فيها ، ويعطي رأيه ، فتتعرض المصطلحات المقترحة للتحوير والتعديل فالتي يقع الإتفاق عليها تنشر في مجلات المجمعين .

ورغم عدم اختصاص هذا المجمع باقرار المصطلحات ، لكنه استقر في نفوس المجمعين أنه من اللازم وجوب الوصل بين المصطلحات العربية التي استخدمها الأجداد ومصطلحات العلم المعاصر ، وهذا بالترجمة ، والاشتقاق ، والمجاز ، والتعريب ، ومع ذلك استعت أعمالهم إلى الإقتداء بأعضاء مجمع القاهرة ، وما تقره مؤتمرات التعريب في الوطن العربي من المصطلحات الموحدة .

ويولي مجمع القاهرة عناية خاصة بالمصطلحات ، حيث قعد قواعد لوضعها ووجه النظر إلى تاريخها ، وبعد أن تمر على لجان المجمع ، فأولى اللجان تلتقي الألفاظ العربية الملائمة لأداء المعنى العلمي المصطلح ، ثم تعرض هذه الأعمال على مجلس المجمع المصغر فاذا تمت الموافقة عليها اجتازت إى اللجنة القانية التي تعرض المصطلحات على المجلس ثم اللجنة الثالثة التي تعرض المصطلحات على مؤتمر المجمع ، وهو الهيئة الكبرى ، واللجنة الرابعة التي تعمل على نشرها في مجال المجمع على نطاق محدود ، في شكل كتيبات ، ثم تنشر للعامة .

وكان هم المجمع اللغوي المصري إثراء المعجم العربي ، ومواجهة المصطلحات الأعجمية ، وقد وضع قرارات واقتدى بها أثناء صياغة المصطلح ، ففي مجال الوضع ينظر المجمع في اختيار مختصين بشؤون العلوم العربية لإخراج المصطلحات العلمية القديمة من الكتب العربية ، وعرض كل فرع على اللجنة المختصة ، ثم وضع معاجم المصطلحات المستخرجة من الكتب العربية القديمة ، فتدرس كتب العرب القديمة المتصلة بالمصطلحات العلمية ، ويعمل لكل كتاب منها معجم بالمصطلحات التي وردت فيه ؛ بحيث تكون هذه المعاجم في متناول الأيدي عند التعريب .

- تفضيل المصطلح العربي القديم على الجديد إلا اذا شاع الجديد .
- - إيثار السهولة في اختيار ألفاظ الشؤون العامة .
- - تخرج كلمات المعجم ومقابلها العامي والأجنبي .
- شرح المصطلحات والتعريف بها .

علما أن المجمع المصري لا يعتمد خطة واضحة لوضع المصطلحات ، وفي نظره أن المصطلح هو الذي يفرض طريقة الوضع .

أما المجمع العلمي العراقي فهو يسير على هدي مجمع مصر ، ومن ذلك الرجوع إلى الاشتقاق أو التعريب ، واستعمال النحت عند الضرورة ، كما يرجع الشائع المشهور من المواد والدخيل على المصطلح العربي المهجور ، ويرى الاقتصار على مصطلح واحد مع إثبات اللفظة المألوفة ، وتجذب الألفاظ العامية - قدر الإمكان - كما يعمد إلى ترجمة المصطلح الأجنبي عند ثبوت دلالته على معناه الاصطلاحي ، وفيه يعمد إلى إحداث بعض التغيير في نطاق المصطلح المعرب لينتظم مع النطق العربي ، لكنه لا يحبذ استعمال السوابق واللواحق الأجنبية ، كما لا يقر المصطلح إلا بعد مرور ستة أشهر على نشره حتى يتسنى له دراسة المقترحات والنقود التي توجه اليه في أمرها[2] .

وينادي مجمع اللغة العربية الأردني بما نادى به أعضاء مجمع القاهرة في وضع المصطلح ، لكنه يزيد عن مجمع القاهرة قضية اختيار المصطلحات العلمية التي تتداول في الوطن العربي فيحث على :

«1 - ضرورة وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلول المصطلح اللغوي ومدلوله الإصطلاحي ، ولا يشترط في المصطلح أن يستوعب كل معناه العلمي .

2 - وضع مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد ذي المضمون الواحد في الحقل الواحد .

3 - تجنب تعد الدلالات للمصطلح الواحد في الحقل الواحد ، وتفضيل اللفظ المختص على اللفظ المشترك .

4 - استقراء واحياء التراث العربي ، وخاصة ما استعمل منه ، أو ما استقر منه من مصطلحات علمية عربية صالحة للاستعمال الحديث ، وما ورد فيه من ألفاظ معربة .

5 - مسايرة المنهج الدولي في اختيار المصطلحات العلمية العالمية :

- مراعة التقريب بين المصطلحات العربية والعالمية لتسهيل المقابلة بينها للمشتغلين بالعلم والدارسين .

- اعتماد التصنيف العشري الدولي لتصنيف المصطلحات حسب حقولها وفروعها .

- تقسيم المفاهيم واستكمالها وتحديدها وتعريفها وترتيبها حسب كل حقل .

- اشتراك المختصين والمستهلكين في وضع المصطلحات .

- مواصلة البحث والدراسات ليتيسر الاتصال بين واضعي المصطلحات ومستعمليها .

6 - استخدام الوسائل اللغوية في توليد المواد العلمية الجديدة بالأفضلية ، طبقاً للترتيب التالي : التراث ثم التوليد (لما فيه من مجاز) فاشتقاق وتعريب ونحت .

7 – تفضيل الكلمات العربية الفصيحة على الكلمات المعربة .

8 – تجنب الكلمات العامية إلا عند الاقتضاء بشرط أن تكون مشتركة بين لهجات عربية عديدة ، وأن يشار الى عاميتها بأن توضع بين قوسين مثلاً .

9 – تفصيل الصيغة الجزلة الواضحة ، وتجنب المتنافر والمحظور من الألفاظ .

10 – تفضيل الكلمة التي تسمح بالاشتقاق على الكلمة التي لا تسمح به .

11 – تفضيل الكلمة الدقيقة على الكلمة العامة أو المبهمة ، ومراعاة اتفاق المصطلح العربي مع المدلول العلمي للمصطلح الأجنبي دون تقيد بالدلالة اللفظية للمصطلح الأجنبي .

12 – تفضيل الكلمة المفردة لأنها تساعد على تسهيل الاشتقاق والنسبة والاضافة والتثنية والجمع .

13 – في حالة المترادفات أو القريبة من الترادف تفضل اللفظة التي يوحي بجذرها بالمفهوم الأصلي بصفة أوضح .

14 – تفضيل الكلمة الشائعة على الكلمة النادرة أو الغريبة إلا اذا التبس معنى المصطلح العلمي بالمعنى الشائع المتداول لتلك الكلمة .

15 – عند وجود ألفاظ مترادفة أو متقاربة في مدلولها ينبغي تحديد الدلالة العلمية الدقيقة لكل واحد منها ، وانتقاء اللفظ العلمي الذي يقابلها ، ويحسن عند انتقاء مصطلحات من هذا النوع أن تجمع كل الألفاظ ذات المعاني القريبة أو المتشابهة الدلالة ، وتعالج كل مجموعة على حدة .

16 – مراعاة ما اتفق المختصون على استعماله من مصطلحات ودلالات علمية خاصة بهم معربة كانت أو مترجمة .

17 – التعريب عند الحاجة ، وخاصة المصطلحات ذات الصيغة العالمية ، كالألفاظ ذات الأصل اليوناني أو اللاتيني ، أو أسماء العلماء المستعملة كمصطلحات أو العناصر والمركبات الكيماوية .

18 – عند تعريب الألفاظ الأجنبية يراعى ما يأتي :

– التغيير في شكله حتى يصبح موافقاً للصيغة العربية ومستساغا .

– اعتبار المصطلح المعرب عربياً يخضع لقواعد اللغة ، ويجوز فيه الاشتقاق والنحت ، وتستخدم فيه أدوات البدء والالحاق ، وموافقته للصيغة العربية .

– تصويب الكلمات العربية التي حرفتها اللغات الأجنبية ، واستعمالها باعتماد أصلها الفصيح .

– ضبط المصطلحات عامة ، والمعرب خاصة بالشكل حرصاً على صحة نطقه ودقة أدائه[3] .

هذه الخطة هي التي اعتمدها مكتب تنسيق التعريب في الرباط في تنسيقه للمصطلحات كما أقرها مؤتمر التعريب الرابع المنعقد في طنجة 16 – 22 نيسان (أفريل 1981) بأنها خطة سليمة يستحسن الاخف بها في وضع المصطلحات .

كانت تجربة مجمع الأردن فذة ، والجهد كثيراً ، وأعطت طريقته الكثير من الفائدة رغم قصر المدة الزمنية التي عمل في مجال رقي اللغة العربية ، ومع ذلك فقد ثبت في الميدان بتعريبه أهم المؤلفات العالمية في مجال العلوم لتعريب السنة الأولى والثانية الجامعيتين .

أما مكتب تنسيق التعريب فمهمته تنسيق المصطلح ، ومنهجيته تتلخص فيما يلي :

«1 – استقصاء المصادر العربية لتتبع مختلف المصطلحات المقترحة للمدلول الواحد .

2 – إدراج المصطلحات العلمية والتقينة بثلاث لغات هي : العربية والأنجليزية والفرنسية ، مراعاة للاختلاف في المناهج بين الدول العربية التي كانت تستعمل اللغة الأنجليزية والدول العربية التي تستعمل الفرنسية ، واذا كان للمعجم صبغة تكنولوجية دولية فإن المكتب يحاول اضافة لغات أخرى كالألمانية والروسية .

3 – استقراء المفاهيم على الصعيد العلمي الدولي في الإطار المحدود للمعاجم .

4 – تبنى مبدأ الاحتفاظ بالمشروع الأصلي لكل معجم ، وإضاقة مقابل أجنبي ثان (أنجليزي أو فرنسي) وإثبات ملحق بالمصطلحات الإضافية التي تستعمل في هذا النسق أو ذلك من الوطن العربي .

5 – إصدار مشاريع المعاجم المنسقة في جزء خاص في كل طبعة من مجلة (اللسان العربي) وطبعة أخرى مستقلة لكل مشروع معجم مع ملحقه مرتبين ترتيباً موحداً ، وذلك من أجل عرضها على الأخصائيين والخبراء في البلاد العربية والدول الغربية المهتمة بالاستشراق والاستعراب ، تمهيداً لعرضها على ندوة الخبراء العرب ومؤتمرات التعريب التي تنعقد في احدى العواصم العربية ، باتفاق مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الأليسكو) باشراف جامعة الدول العربية ، وذلك لإقرارها نهائياً ، والعمل على تطبيقها بكيفية موحدة في الجهاز التعليمي بالدول العربية .

وبهذه الأعمال التنسيقية استطاع أن يعد رصيداً مصطلحياً مختصاً في مجالات عديدة وقد حقق ما وضعته المجامع والأفراد . فجرد أعمال بعض المؤسسات العربية . والمهم أنه يتوفر على كمية معتبرة من المصطلحات الموحدة في كل التخصصات بفضل المنهجية التنسيقية التي يعمل

عليها منذ مدة ، ومن يطلع على المصطلحات والمعاجم الموحدة التي صادقت عليها مؤتمرات التعريب الست يرى أن العربية لا تشكو عجزاً في المصطلح .

وآخر المؤسسات العلمية التي أقف عندها هي : معهد الدراسات والأبحاث للتعريب فهذه المؤسسة التي تعمل بعيدة عن الأضواء اذا اطلعنا على جهودها يمكن أن نقول أنه ستلغي كل التناقضات ، وهي نتيجة جهد فريق من الخبراء في المعهد الذين عملوا لسنوات طوال في ايجاد نمط ومنهج لوضع المصطلح العلمي العربي ، وهي تجربة ناجحة توصلنا الى لغة علمية عربية موحدة ، تعتمد تسعة مراحل لوضع المصطلح إلى أن يصبح جاهزا وفي المعاجم المختصة أو العامة[4] .

وفي الأخير أرى أنه عندما تكون النية صادقة ، والإيمان صحيحاً ، والمنطلق جاداً والمنهج صارماً لا تقف حواجز المصطلح دون تحقيق عملية التعريب ، فالجزائر لها وضع خاص ، وهذا الظرف الخاص ولد جماعات مثقفة ثقافة نوعية تعادي التعريب والعرب نظرا لفرانكفوليتهم ، ولعدائهم السافر لكل من ينطق بالعربية ، وحتى اذا حاورتهم في هذا المجال يقرون أن اللغة العربية مثلها مثل اللغات الأخرى فمتى وقع الاهتمام بها ترقى وتتطور لكنهم يظهرون لك في البداية تأخر العرب والذي ينجم عنه تأخر العربية ، عند ذلك يهربون إلى اللغة الفرنسية التي تكون المنقذ ، فجعلته امعتهم ينظرون بعين واحدة على أن الفرنسية غنيمة حرب لا يمكن التسامح فيها رغم تقدم الأنجليزية عليها ، وعندهم أن التعريب يساوي التخلف والعيش في الظلامية ، متناسين أن الفرنسية هي التي تحكم في الجزائر منذ زمان فماذا قدمت لنا ؟ وهل تقدمت الدول الفرانكفونية بالفرنسية ، وهذا ليس عداءً للفرنسية فأنا أقرها كلغة علم مما لاشك فلها باع طويل في مجال البحث العلمي والتكنولوجي ، لكني لا أرضى بها بديلاً عن لغتي لأن لغتي تعني كرامتي وشخصيتي ، والعالم كما قال ميتران لا يسمع لمن يتحدث لغة غيره !

وبعد هذا أقول أن القضية لا تكمن في اللغة ، فالعربية صحيح أنها متخلفة عن اللغات الحية في هذا العصر لأن أهلها متخلفون فكرياً واقتصادياً ، وأن أهلها ليسوا في سلطة القرار ومن يطلب التعريب عليه أن يأخذ زمام القرار .

وما بقي لي في هذا العرض الوجيز الا التأكيد على مسلمات التعريب في هذا المجال وهي :

- لا نقص في المصطلح العلمي العربي ، بل نشكو تخمة عددية ، المشكل هنا عدم توحيده ، وتوزيع مصطلحات المؤسسات العاملة على وضع المصطلح .

- التعريب لا يقف دونه قلة المصطلح ، فمتى بدأ التعريب تظهر المصطلحات ، فلا تظهر المصطلحات وتبقى دوناستعمال .

- الإشكال الذي نعيشه في المصطلح عام وفي كل اللغات ، وليست الفرنسية بمنأى عن ذلك فهي تعقد شهريا ملتقيات لوضع المصطلحات بلغتها ، ومحاربة المصطلحات الأنجليزية كما أن التوحيد مطروح حتى في اللغة الواحدة ، فهناك خلاف بين مصطلحات أنجلترا ومصطلحات أمريكا رغم أن اللغة واحدة .

- مشكلة الجزائر هي عدم التواصل الثقافي بالبلدان العربية فمنذ 1985م لم تدخل المجلات أو الكتب ، فانقطعنا ثقافيا عن العالم ، مما لا شك أننا سننعى على العربية فقرها في المصطلح ، بل وضعفها أمام ما تعطيه لنا الهوائيات عن الغرب وتطوره ، وسكوت تام عن عمل البلدان العربية .

ومن هنا أدعو الى :

- العمل على التعريب المرحلي وفق تصور منهجي مضبوط وضمن مدة زمنية محدة .
- العمل على فتح الحدود أمام دخول الكتب والمجلات العربية وتيسير تداولها .
- دعم مكتب تنسيق التعريب لضمان دوام عمله في تنسيق المصطلحات .
- تأسيس لجان جامعية تعمل على لوضع المصطلح ولا يعمل بها حتى تنال شرعية من مكتب تنسيق التعريب لضمان توحيد المصطلح العلمي العربي .
- مآزرة معاهد تكثيق اللغات على مستوى الجامعات الوطنية .
- تشجيع البحث العلمي عامة ، والبحث المصطلحي على وجه الخصوص لخدمة العربية العلمية .
- العمل على طبع كتب السنة الأولى والثانية الجامعدين التي أهديت من مجمع اللغة العربية الأردني لوزارة التعليم العالي عام 1985م .
- تدعيم معهد علوم اللغة والتكنولوجية اللغوية ليقوم بوضع المصطلحات ، ويوحدها على نطاق الوطن العربي ، وأملنا كبير في المهام العربية التي قام بها من الرصيد الوظيفي المغاربي ، والرصيد العربي ، وننتظر منه إنجاز الذخيرة العربية التي تلم شمل الباحثين والمؤلفين والمبدعين والكتاب على لغة عربية واحدة .
- تحريك ملف أكاديمية اللغة العربية في الجزائر .

- الاستفادة من التكنولوجية الثقافية التي تتوفر عليها الدول العربية ، لوضع بنوك المعطيات والمصطلحات .

- فتح مجال الفضاء العربي أمام المشاهد العربي ليستفيد من عربسات الذي ننتظر منه أن يمدنا بما يغذي عقولنا ، لا بما يلهينا فقط .

الهوامش

(1) المجمع العلمي العربي ، مجلة المجمع ، سوريا : مجلد 38 . ص : 8 .

(2) أحمد مطلوب ، الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات ، تونس : 18 - 23 شباط (فيفري) 1985م الجامعة التونسية - سلسلة اللسانيات . عدد : 6 .

(3) مجمع اللغة العربية الأردني «أخبار مجمعية» عمان : كانون الثاني - حزيران 1981م مجلة المجمع عدد : 12/11 ص : 220 - 223 .

(4) لتحقيق المراحل التسعة ينظر : دور المعاجم والمؤسسات العلمية العربية في ترقية اللغة العربية . رسالة دكتوراه / جامعة تيزي وزو / معهد اللغة العربية وآدابها عام 1993م .